السنة: السادسة المجلد: 06 العدد: 02 ص ص: 647- 664
EISSN 2676-1645 ISSN 2543-375X

الدبلوماسية الثقافية الأمريكية كقوة ناعمة و آلية إيديولوجية للهيمنة الثقافية في العالم العربي

American cultural diplomacy as a soft power and ideological mechanism for cultural hegemony in the Arab world.

منيرة بودردابن، جامعة قسنطينة3
mounira.bouderdabene@univ-constantine3.dz

تاريخ الاستلام: ..2021/01/10 تاريخ القبول: 2021/03/06

ملخص:

تمارس الدول سياسات القوة الناعمة كعنصر يتكامل مع مجموع الأنشطة التي تهم مختلف البرامج التي تنفذ خارج الحدود في تواصل مباشر مع النخب والجماهير الأجنبية أو فئات مستهدفة منها. ويشمل ذلك تدبير تدفقات إعلامية وتواصلية وثقافية,لإحداث تغييرات معينة أو بناء أفكار وقناعات معينة تسهل فهم سياسات هذه الدولة وقراراتها.

وستركز هذه الدراسة على الدبلوماسية الثقافية الأمريكية تجاه العالم العربي, والتي تمثل الوجه الأبرز لسياسات القوة الناعمة الساعية الى تعزيز فهم الثقافة الأمريكية في الخارج , حيث تشمل كل المجهودات التي تهدف الى الربط بين الناس عبر البلدان ,من أجل تمثل أكبر للقيم الأساسية الأمريكي ذلك أن الجاذبية الثقافية لأمريكا يعززها التوسع السريع للغة الانجليزية كلغة عالمية مشتركة، وانتشار الإنجليزية في العالم يعزز نجاح القوة الناعمة الأمريكية و تبادل الأفكار والمعلومات والفنون وباقي جوانب الثقافة بين الشعوب العربية و أمريكا من أجل تعميق التفاهم، و ممارسة عملية تواصل ناجحة تنقل لشعوب العربية عناصر فهم حياة وثقافة الشعب الأمريكي. و التي رأت فيه أمريكا ضرورة توظيف العنصر الثقافي لتحقيق أهداف السياسة الخارجية الأمريكية في العالم العربي من خلال غزو العقول والسيطرة عليها

واتخاذها منطلقا لممارسة النفوذ في المنطقة لصالح الاستراتيجية الأمريكية على المستويات كافة.

الكلمات المفتاحية: الدبلوماسية الثقافية -الدبلوماسية الثقافية الأمريكية -القوة الناعمة -الهيمنة الثقافية - العالم العربي.

Abstract

Countries practice soft power policies as an integral component with all the other activities. That concern various programs realized outside the borders, in a direct contact with foreign elites and audiences or their target groups. This includes managing media, communication and cultural flows aimed to bring about certain changes or build specific ideas and convictions, in order to facilitate policies, of this mean state.

This present study focus on the American cultural diplomacy towards the Arab world, which represents the most prominent aspect of soft power policies seeking to understanding of American culture It includes all efforts aimed at connecting people across the states for a greater representation of American core values through a cultural attractiveness and lines of a common global English language. Understand the life and culture of the American people in which America found the necessity of employing the cultural element to achieve most of American foreign policy goals in the Arab world, either by conquering minds, or controlling and taking them as a starting point for exercising influence in the region in favor of the American strategy.

Keywords:

Cultural diplomacy, American cultural diplomacy, Soft Power, Cultural Hegemony, the Arab World.

مقدمة

تشكل الدبلوماسية الثقافية الوجه الأبرز لسياسات القوة الناعمة، ولعلها كانت الممارسة التقليدية التي استلهمت من تجاربها التاريخية العريقة الدروس والخلاصات النظرية لبلورة مفهوم القوة الناعمة في العصر الحديث للعلاقات الدولية، فلم يعد مفهوم القوة الناعمة مجرد ترف لفظي لاستيعاب تطور قنوات التبادل الثقافي والفني من أشكاله البدائية إلى أكثر مظاهره التكنولوجية في سياق عولمة التواصل وقابلية الحدود للاختراق الثقافي، حيث اندمج كبعد أساسي ضمن أدبيات الجيوبوليتيك المعاصرة كونه يتمثل في قدرة الفاعل على أن يفرض نفسه كنموذج يحتذى للتنظيم السياسي الاجتماعي وكحامل لواء قيم كونية، وهي عوامل أساسية لكل سياسة قوة في الوقت الحالي.

وبالحديث عن القوة الناعمة الأمريكية ومن خلال وجهها الثقافي المتمثل في الدبلوماسية الثقافية, فهي لم تدخل إلى العالم العربي مع مرحلة ما بعد 2001 /09/11، لكن المؤكد أن الاهتمام الأمريكي بالمنطقة على هذا المستوى لم يتخذ قبل ذلك أبدا هذا القدر من الانخراط وهذا المستوى من البرمجة والتخطيط الواضح الأهداف, وفي هذه الحالة بالضبط، يتأكد أن الدبلوماسية الثقافية تجاه العالم العربي الإسلامي هي استمرار طبيعي لمنطق القوة الصلبة. من الضغط لتعديل البرامج التعليمية، إلى إنشاء قنوات تلفزيونية وإذاعية متحدثة باسم المصلحة الأمريكية , وصولاً إلى تحفيز الإصلاحات في المجال الثقافي والديني، وتكثيف برامج البحوث حول الخلفيات الثقافية والدينية للإرهاب الصادر من هذا المجال الجغرافي الحضاري، كلها محاور عمل حددها تشخيص للحالة الاستراتيجية المستجدة غداة تفجيرات 11 سبتمبر.

ومن خلال هذه المعطيات فإنه من الضروري طرح إشكالية لهذه الدراسة هي :

- ماهي أهم معايير و أبعاد الدبلوماسية الثقافية الأمريكية في تكريس منظومة القيم الثقافية الأمريكية في العالم العربي؟
- ما هو دور هذا النوع من الدبلوماسية؟
- ماهي أهداف و برامج الدبلوماسية الثقافية الأمريكية؟

- ماهي وسائل الدبلوماسية الثقافية الأمريكية في خلق التنوع و التبادل الثقافي في العالم العربي؟
- ماهي أهم برامج التبادل الثقافي التي تعتمدها الو. م . أ. في علاقاتها الثقافية تجاه العالم العربي؟
- هل يمكن اعتبار الدبلوماسية الثقافية الأمريكية وسيلة للهيمنة الثقافية في العالم العربي؟

و للإجابة على هذه التساؤلات لابد من التركيز على طرحين رئيسيين :

- أن الدبلوماسية الثقافية هي عملية تبادل المعلومات والأفكار والقيم والنظم والتقاليد والمعتقدات، وغيرها من جوانب الثقافة، بقصد تعزيز التفاهم المتبادل والتنوع الثقافي فيما بين الدول، وهذا التبادل يساعد على تعزيز التواصل والاحترام بين الثقافات والحضارات المختلفة، وتمكين التفاعل والتعاون فيما بينها على نحو سلمي.

- أن المقاربة الأمريكية في دبلوماسيتها الثقافية تجاه العالم العربي تخضع لنموذج حرب الأفكار من خلال الضغط على الأفكار، للسيطرة على المدارك العقلية عبر وسائل الإعلام المختلفة، وأيضا الحكومات العربية لتغيير مناهج التعليم تحت غطاء الإصلاح الثقافي والسياسي.

1 . الدبلوماسية الثقافية والقوة الناعمة : قراءة في المفهوم

أ. الدبلوماسية الثقافية

تشكل الثقافة عنصرا هاما من عناصر السياسة الخارجية للدول باعتبارها كيانات تعبر عن شخصية المجتمع ووجوده، وهي تتحدد بالعناصر الموضوعية المشتركة مثل اللغة والدين والتاريخ والعادات والتي قد تأخذ شكل التعبير الايديولوجي في بعض اوجهها وما تتركه هذه العناصر من اثر واضح على السلوك العام للدولة في صياغة قراراتها المنظمة لعلاقاتها مع الدول الاخرى, التي أخذت تتفاعل فيما بينها في إطار علاقات التعاون والصراع, نتيجة لازدياد وتيرة المصالح المتداخلة فيما بينها بعد الثورة التكنولوجية الثلاثية الأبعاد (المعلومات والإعلام والاتصال) التي غيرت المفاهيم المكانية والزمانية ليصبح العالم قرية صغيرة شبه مفتوحة متجاوزة على البعد الجغرافي ومفاهيم السيادة التقليدية، مما جعل الدولة اقل قدرة على التحكم بتدفق الأفكار والأموال منها واليها.

وتشكل الدبلوماسية الثقافية في هذا الصدد الوجه الأبرز لسياسات الدولة، ولعلها كانت الممارسة التقليدية التي استلهمت من تجاربها التاريخية العريقة الدروس والخلاصات النظرية لبلورة مفهوم القوة الناعمة في العصر الحديث للعلاقات الدولية.

تعني الدبلوماسية الثقافية بهذا المعنى توظيف عناصر عدة من الثقافة للتأثير في الجماهير الأجنبية وصناع الرأي والقادة والنخب المؤثرة، فهي تقتضي استغلال الفرص التي تتيحها قطاعات عديدة من بينها الفنون، التعليم، الأفكار، التاريخ، العلوم والدين، لقولبة أفكار وانطباعات وتمثلات معينة (Waller, 2009, p. 13). وفيما يخص أهمية الاستثمار في ترويج الثقافة الوطنية، يقول الدبلوماسي البريطاني أنتوني بارسونز: " إن استأنست بلغة أحد وأدبه، وإن عرفت وأحببت بلاده، ومدنه، وفنونه وشعبه، ستكون مستعدا بشكل لاشعوري لاقتناء ما تريده منه أكثر من مصدر لا تعرفه بدقة، ولدعمه حين تعتبر أنه على صواب، ولتجنب معاقبته بقسوة إن أخطأ (Kitsou,2011, p. 22) ، فمفهوم الدبلوماسية الثقافية، يتجاوز مسألة التبادل الثقافي، أو متابعة طلبة البعثات الوطنية التعليمية في الجامعات والمعاهد الأجنبية، إلى تقديم ثقافة الوطن وإبداعات أبنائه، وقيم المجتمع وتراثه الإنساني وصناعاته الثقافية إلى جمهور خارجي، بهدف تعزيز قوة الدولة ومكانتها، وبناء صورة ثقافية جذابة ومقنعة وممتعة ونافعة في أذهان المجتمعات الأخرى .

ب. القوة الناعمة :

إن مفهوم القوة الناعمة ليس جديدًا تمامًا لكن المصطلح ذاته ابتكره الباحث والأستاذ في جامعة هارفرد، جوزيف س. ناي، في تسعينيات القرن الماضي، سلط فيه الضوء على قدرة بعض الدول على استثمار عناصر الجذب الحضارية والثقافية دون الاضطرار إلى اللجوء للإكراه، بهدف الإقناع ونشر الدعاية والفكر الوطني عبر الآداب والفنون، وأحيانًا عبر الدبلوماسية الثقافية. وللقوة الناعمة آثارها في التنمية الاقتصادية عبر الترويج للاقتصاديات المحلية ودعم الاستثمارات والسياحة المحلية، عبر تسليط الضوء على المنجزات العلمية والفنية والثقافية والاقتصادية، وفتح قنوات تواصل بين الشعوب حيث تشمل العناصر المستعملة من قبل فاعل سياسي (دولة، منظمة دولية، شركة، شبكة

للمجتمع المدني) من أجل التأثير بشكل غير مباشر على فاعل آخر بغرض حمله على تبني وجهة نظره، وتحقيق مراميه دون الشعور بالطابع الإجباري لهذه العلاقة. و هي أيضا قوى نافذة تتسلل إلى البنيات، وتتمركز أساسا في المجال الثقافي كالفنون وأنماط الحياة و الصور ذهنية (Plaquevent, 2011).

وتتعلق القوة الناعمة بتعبئة موارد الجذب والإبهار لنزع حوافز المبادرة المناوئة وكبح مساعي التحدي أو المس بالمصلحة الوطنية لدى الحلفاء والخصوم على السواء. بالطبع لا يمكن في زمن صراعي وتنافسي في تاريخ العلاقات الدولية الاتكاء على القوة الناعمة كبديل للسياسة الواقعية المبنية على اكتساب المبادرة على المستوى العسكري و الاقتصادي ، بل تدخل في حساب معادلة قوة وطنية شاملة تتوطد. بكل ما تحتويه من خيارات عسكرية ومناورات دبلوماسية وضغوط اقتصادية ثم قوى ناعمة، ثقافية وإعلامية. ولم يعد مفهوم القوة الناعمة مجرد ترف لفظي لاستيعاب تطور قنوات التبادل الثقافي والفني من أشكاله البدائية إلى أكثر مظاهره التكنولوجية في سياق عولمة التواصل وقابلية الحدود للاختراق، فقد ادرج كبعد أساسي ضمن أدبيات الجيوبوليتيكا المعاصرة، و عرفه لورو و ثيال في كتابهما "الجيوبوليتيك" بأنه "قدرة الفاعل على أن يفرض نفسه كنموذج يحتذى للتنظيم السياسي الاجتماعي وكحامل لواء قيم كونية، وهي عامل أساسي لكل سياسة قوة في الوقت الحالي"(Lorot et Thual, 2002, p.3).

بالنسبة لجوزيف ناي، المنظّر الأمريكي لمفهوم "القوة الناعمة" ، فإن السلطة بمفهومها الواسع هي قدرة كيان (دولة أو منظمة أو فرد) على الحصول على ما يبتغيه من جانب كيان آخر، عبر استثماره في عدة موارد قوة في يديه. هناك عوامل لممارسة الإكراه، وأخرى لحث الكيان على فعل شيء أو الامتناع عنه. لكن هناك أيضا القدرة على الجذب والإبهار. وتعني القوة الناعمة من وجهة نظر (جوزيف ناي)، القدرة في الحصول على ما نريد من خلال الجذب بدلاً من القسر أو الدفع... وهي أحد مصادر التأثير... وهي أيضاً الإغراء والجذب. و يشير إلى توظيف ما أمكن من الطاقة السياسية، بهدف السيطرة على سلوك واهتمامات القوى السياسية الأخرى المستهدفة بوسائل ثقافية وأيديولوجية بحيث

تتضمن إجباراً وإلزاماً غير مباشرين، تعتمد في ظهورها على القوة الخشنة أو الصلبة. وتقوم بأعمال تعجز القوة الصلبة عن القيام بها(Lord, 2005, p. 62). إن القوة الناعمة ليست دعاية سياسية، بل هي سجال عقلي وقيمي يهدف إلى التأثير على الرأي العام في داخل الدولة وخارجها.

لقد أصبحت القوة الناعمة، اليوم نمطاً أساسياً في كسب العقول وتطويع العواطف وتحييد سلوك الشعوب، عن طريق التسامح وقبول الآخر ومما زاد من أهمية القوة الناعمة تنوع أنماطها وتعدد أشكالها وابتعادها عن النمط التقليدي المتمثل بالقوة، لذلك يمكن القول أن القوة الناعمة أخذت نمط معالجة الأزمات والتصدي للتحديات التي تواجه الدبلوماسية الدولية، وسعت لإنشاء التحالفات السياسية والمعاهدات الاقتصادية أي ان أداة القوة الناعمة فعالة لزيادة النفوذ واستراتيجيتة لتعزيز سمعة ومكانة الدول إقليمياً وعالمياً وهذا اعتمادا على المعايير الثقافية ضمن ما يسمى بالدبلوماسية الثقافية.

2. الدبلوماسية الثقافية الأمريكية والاختراق الناعم : برامج التبادل الثقافي

تشير أدبيات العلاقات الثقافية الى أن بداية اهتمام الولايات المتحدة الأمريكية بالثقافة، كعنصر ملازم لسياستها الخارجية، ترجع إلى الثلاثينيات من القرن العشرين، ففي عام 1938 أنشأت وزارة الخارجية الأمريكية قسم العلاقات الثقافية الذي انحصر عمله الرسمي، بداية، في أمريكا اللاتينية، ثم امتد إلى منطقة الشرق الأوسط، وإلى الصين. بعد أن خرجت الولايات المتحدة الأمريكية من الحرب العالمية الثانية منتصرة، كقوة دولية بارزة، تكيفت مع معطيات الواقع الدولي, فتبنت الدبلوماسية الثقافية كمنهج أساسي في سياستها الخارجية ، بشكل متداخل ومدعوم في نشاط وكالة الاستخبارات المركزيّة, فكانت المبادرة الأولى في أغسطس عام 1946 من خلال برنامج فولبرايت لتشجيع المبادلات الثقافية بين الولايات المتحدة الأمريكية وبلدان أخرى، ثم تلاه مشروع سميث موند في عام 1947 الذي تم بموجبه استحداث دائرة ثقافية في وزارة الخارجية الأمريكية تحمل اسم "الدائرة الدولية للتبادل الثقافي (زايد عبيد الله، 2014؛ 177 : Marteau, 2003).

لقد أعطت صراعات الحرب الباردة في عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية، نماذج لافتة للنظر في قياس التأثير الواسع للعامل الثقافي وتقاطعه مع السياسي لحد استعماله كأداة من أدوات الاختراق والتجسس؛ فقد سعت واشنطن لكسب الشعوب ومنع الدعاية الشيوعية من خلال استمالة نخب وجماهير أوسع، وترويج قيمها البراقة حول الليبرالية، وذلك عبر إتاحة منتجاتها الفنية الواسعة الانتشار، وبمؤسسات إعلامية موجهة للتبشير بالحرية والديموقراطية، وتجنيد فكري لنخب مثقفة مؤثرة في الرأي العام، بإحداث مراكز ومؤسسات ثقافية أمريكية، وكذا برامج للمنح الجامعية وغيرها، لنسف محاولات مضادة لنشر الأيديولوجيا الشيوعية. ومن جهة أخرى، فعل الاتحاد السوفيتي الشيء ذاته للحد من تأثير الثقافة الأمريكية في العالم. يجب التذكير بأن الولايات المتحدة في هذه الجبهة لم تنطلق من الصفر. فأولى بوادر الدبلوماسية الثقافية الأمريكية هي مبادرات موجهة للتصدي لفعل دعاية معادية في أذهان الغير، تعود إلى الثلاثينيات من أجل مكافحة " الهجمة الثقافية" النازية بأمريكا اللاتينية، ووصفت هذه الأنشطة النازية حينئذ بأنها كانت منظمة جيداً وموجهة لإضعاف العلاقات الثقافية بين الولايات المتحدة وأمريكا اللاتينية والتشكيك في أهداف ودوافع هذه العلاقات(Audinet, 2018). في مقابل ذلك، اقترح الوفد الأمريكي بالمؤتمر الأمريكي لحفظ السلم في بوينوس آيرس عام 1936 إبرام اتفاقية حول النهوض بالعلاقات الثقافية في المجال الأمريكي، وتم اعتمادها بالإجماع (Mulcahy, 1999, p. 11). نتيجة ذلك تم اعتماد برامج لتبادل المدرسين والطلبة وتشجيع التعاون بين المنظمات غير الرسمية التي تمارس تأثيرا على تشكيل الرأي العام من قبيل المنظمات الشبابية والطلابية، كل ذلك بهدف تحسين صورة أمريكا في الخارج أمام مناورات خصم كان رائداً في مناهج وتقنيات الحرب المعنوية والإعلامية.

وقد كانت وما تزال برامج التبادل التعليمي والثقافي الدولية أحد أهم الوسائل التي تحاول الإدارات الأمريكية المتعاقبة استخدامها كوسيلة تحقيق أهداف السياسة الخارجية بصورة مقبولة, حيث تتوزع الفوائد على كل الأطراف المشاركة فيها، ومن أهم برامج التبادل التعليمي الدولي كما سبق

الذكر، برنامج منح فولبرايت *Fulbright* الدراسية الذي مكن أكثر من 250 ألف طالب من 185 دولة من الدراسة في أمريكا منذ عام 1946، وبرنامج غيلمان *Gilman* للمنح الدراسية الذي مكن 2200 طالب أمريكي من الدراسة في الخارج منذ عام 2000(Marteau, 2003, p. 183) . وخلال عام 2005 وصل عدد الطلبة الأجانب في الولايات المتحدة إلى أكثر من 565 ألف طالب، إلى جانب 89 ألفاً و634 عالماً دولياً (أساتذة وباحثين) (أمريكا وبرامج التبادل التعليمي مع الدول العربية... نوايا حسنة أم مصالح، 2006)، وتسعى الولايات المتحدة إلى إقامة علاقات جديدة للتبادل التعليمي مع الدول الآخذة في لعب دور متزايد الأهمية على الساحة الدولية (Etzioni, 2005, p. 47).

وقد ساهمت الأوضاع السياسية في العالم غداة الحادي عشر من سبتمبر 2001، في زيادة الاهتمام العالمي والأمريكي بصفة خاصة بما يدور في العالم العربي والإسلامي، وينعكس الاهتمام الأمريكي المتزايد في عدة صور من أبرزها إقبال الآلاف من المواطنين الأمريكيين على تعلم اللغة العربية، وازدياد برامج الدراسات الإسلامية في العديد من الجامعات والمعاهد الإسلامية. من ناحيتها، تعمل الحكومة الأمريكية جاهدة على دعم برامج التبادل الطلابي مع الدول العربية والإسلامية، بهدف توفير فرصة لهم للاطلاع على الحياة عن قرب من خلال الدراسة والإقامة لفترة طويلة في الولايات المتحدة. ومن الجهود الأمريكية الهامة لإقامة رابطة بين الولايات المتحدة وشعوب العالم العربي والإسلامي برامج تسمح للحكومة الأمريكية بإحضار طلبة عرب ومسلمين لتلقي تعليم جامعي بهدف خلق أصدقاء جدد للولايات المتحدة اثر عودة هؤلاء الطلبة إلى بلدانهم بأفكار وتجارب جديدة. وبلغ عدد الطلبة من منطقة الشرق الأوسط في الولايات المتحدة 31 ألفاً و248 طالبا عام 2005 (أمريكا وبرامج التبادل التعليمي مع الدول العربية... نوايا حسنة أم مصالح، 2006)

تسعى الولايات المتحدة الأمريكية من خلال أهداف الدبلوماسية الثقافية إلى تحقيق أهداف أخرى تعتبر ذات أهمية كبرى لتعزيز دور الدبلوماسية الأمريكية، فقد أكد السيد هيتر ماهوني مستشار الشؤون الإعلامية والثقافية

بسفارة الولايات المتحدة الأمريكية بالقاهرة أن الدبلوماسية الأمريكية تسعى لتحقيق العديد من الأهداف وليس الأمنية والسياسية فقط، فقد أضاف الأهداف الثقافية والعلمية مؤكدا بذلك على أهمية المحور الثقافي للدبلوماسية في تحقيق الحوار الثقافي بين الشعوب (الفارسي، 2014).

حيث يتحقق الحوار الثقافي من خلال برامج التبادل الثقافي وذلك لتعزيز التفاهم بين الثقافات والوعي بالقيم المشتركة، في إطار نشاطات اللجنة الاستشارية للدبلوماسية الأمريكية وأيضا من خلال المنح الدراسية وبرامج التبادلات التعليمية الدولية وبرامج الشراكة من أجل التعلم، محاولة منها لإحداث التواصل بين الشباب داخل الولايات المتحدة الأمريكية وباقي الدول الأخرى. ويتم الحوار الثقافي أيضا من خلال ما تقوم به اللجنة الاقتصادية لإفريقيا والتي تمولها الولايات المتحدة الأمريكية والتي تقوم بأنشطة وبرامج التبادل الثقافي من خلال فتح بوابات على شبكة الأنترنت، وتدير هذه اللجنة العديد من البرامج تقدم منحا لطلاب الدراسات العليا والباحثين والمختصين، مثل برنامج همفري الذي يجمع من المستوى المتوسط المختصين من البلدان النامية وتكوينهم لمدة سنة في الولايات المتحدة الأمريكية، وأيضا هناك برنامج الزيارات الدولية الذي يجمع بين كل المهنيين والمختصين داخل الولايات المتحدة الأمريكية للتشاور مع نظرائه (Botes, 2007, p. 97).

إن كل هذه البرامج التي تتبناها الولايات المتحدة الأمريكية لا تستهدف الربح، وقد وصل الأمر إلى تبني الولايات المتحدة الأمريكية لسياسة دعم المعاهد التي تعتني بالبحوث الأمريكية والشراكة معها (Harfi et Mathieu, 2006, p.66)، وذلك مثل الرابطة الأمريكية العربية والذي يقدم الدعم للدراسات باللغة الإنجليزية، وذلك لتدريس الشباب المحرومين في الدول ذات الأغلبية المسلمة بهدف تعزيز التواصل بين الثقافات وفتح الفرص التعليمية وتمكين الشباب من المشاركة في الاقتصاد العالمي والسياسة الدولية. وتجدر الإشارة إلى أن سياسة الولايات المتحدة الأمريكية من خلال عملية التبادل الثقافي بين الدول، تسعى إلى انفتاح المجتمع الأمريكي على كافة الثقافات وتوضح أن التحدي الأكبر الذي يواجه الولايات المتحدة الأمريكية هو محاولة

استقطاب الأجانب من خلال إستراتيجية التعليم للقرن الواحد والعشرين باستخدام التكنولوجيا لتدريس التعليم، وأيضا إستراتيجية وزارة الخارجية حول التعليم في الولايات المتحدة الأمريكية تحت اسم "إذا أردت الدراسة في الولايات المتحدة الأمريكية" وهي تسعى لتقديم المشورة الموضوعية والعملية إلى الطلاب والباحثين الدوليين حول الدراسة في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث تختصر هذه الإستراتيجية في أربعة كتب تتعرض من خلالها للأسباب التي تجعل 500 ألف طالب دولي من كافة أنحاء العالم يتابعون دراستهم في الولايات المتحدة الأمريكية(Vincent-Lanccrin, 2008, p. 73).

فالكليات التعليمية داخل الولايات المتحدة الأمريكية تعرف بجودة برامجها وهيئات التدريس فيها، من خلال تقديم خيارات عديدة من المؤسسات والهيئات الأكاديمية، فكون الدراسة في الولايات المتحدة الأمريكية توفر الاستثمار للمستقبل ووجود مجالات واسعة من الأقساط الدراسية والتكاليف المعيشية المختلفة والمساعدات المالية من طرف الكليات والمنظمات التعليمية ,جعل من الدراسة في الولايات المتحدة الأمريكية أمرا ممكنا بالنسبة لآلاف الطلبة، الأمر الذي يجعل من عملية التواصل الثقافي بين الأمم يحقق الأهداف الرئيسية التي تسعى إليها الدبلوماسية الثقافية الأمريكية وتحقق أبعادها المسطرة(Vincent-Lanccrin, 2008, p. 74).

3. الدبلوماسية الثقافية الأمريكية كسب العقول وحرب الافكار في العالم العربي : من الهيمنة الثقافية الى الهيمنة السياسية

تلعب الدبلوماسية الثقافية دورًا في تعزيز قرار السياسة الخارجية للدولة والتي تتعامل عادة مع ثلاثة أبعاد رئيسة: أولها، "البعد السياسي، ويتناول كل ما يتعلق بإدامة ونمو الكيان السياسي للدولة في إطار علاقات الصراع والتعاون بين أطراف المجتمع الدولي. والبعد الثاني، تمثل في الجانب الاقتصادي عندما تطورت علاقات الأمم فيما بينها لتصبح الاعتمادية المتبادلة لتلبية الاحتياجات المعاشية شكلا من أشكال النظام الدولي. وثالث هذه الأبعاد هو الجانب الثقافي الذي يعبر عن إحساس الشعوب والنخب الحاكمة بأن ثقافتها ومبتكراتها هي من المنجزات الإنسانية الحضارية وجزء من عوامل قوة الدولة المضافة التي تساهم في تعزيز سياستها الخارجية التي تسعى من خلالها لتحقيق

المكانة والمنزلة الدولية، وباتت ترتبط بتخطيط شامل ومبرمج من قبل صناع السياسة الخارجية للدولة (Kessler, 2018, p. 265).

لقد أعطت صراعات الحرب الباردة في عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية، نماذج لافتة للنظر في قياس التأثير الواسع للعامل الثقافي وتقاطعه مع السياسي لحد استعماله كأداة من أدوات الاختراق والتجسس؛ فقد سعت واشنطن لكسب حرب الأفكار ومنع الدعاية الشيوعية من خلال استمالة نخب وجماهير أوسع، وترويج قيمها حول الليبرالية، وذلك عبر إتاحة منتجاتها الفنية الواسعة الانتشار، وبمؤسسات إعلامية موجهة للتبشير بالحرية والديموقراطية ، وتجنيد فكري لنخب مثقفة مؤثرة في الرأي العام العربي خاصة، بإحداث مراكز ومؤسسات ثقافية أمريكية. وكذا برامج للمنح الجامعية وغيرها، لنسف محاولات مضادة لنشر الأيديولوجيا الشيوعية.

تقوم السياسة الأمريكية الراهنة على كسب العقول والقلوب (Ross, 2015) عن طريق تحسين الصورة الأمريكية في العالم العربي ،واستخدام أدوات الدبلوماسية الثقافية، و من المعلوم أن تفاقم حالة الكراهية إزاء الو. م. أ. في العالم العربي باتت تشكل إزعاجا كبيرا لصانعي القرار الأمريكي كما يترتب عليها من انكماش النفوذ الأمريكي في العالم العربي وهو ما ترتب عليه زيادة الاهتمام بكسب العقول والقلوب بداخل هذا الفضاء من خلال وضع الدبلوماسية الثقافية الأمريكية في قالب واضح (Katzenstein et Keohane, 2007, p.9). والتي يراها بعض المفكرين إيديولوجية للهيمنة الثقافية أو هيمنة الثقافة الأمريكية على المجتمعات العربية خصوصا في ظل ضمور الشكل التبادلي الذي يجعل المادة الثقافية موضوع إرسال واستقبال واعتبارها شكل من أشكال الدعاية لتحسين صورة أمريكا في العالم العربي. هذا من جهة، وأما من جهة أخرى فيراها بعض المفكرين أن الامكانيات ستوفرها الدبلوماسية الثقافية الأمريكية في المستقبل ستكون سبل تفاهم أعمق وتعزيز السلم عبر العالم وتوفير أرضيات ذهنية لتجاوز الخلافات وحل النزاعات على المدى البعيد وهي القناعة التي تتبناها الو -م -أ من خلال شعار معركة كسب العقول والقلوب في العالم العربي (الفراوي، 2006، صفحة 5).

لقد جاءت تحولات الخطاب السياسي الأمريكي عناية بالقوة الإيديولوجية للإرهابيين الذي يمثل تحديا مستقبليا في سياسة كسب العقول والقلوب، حيث تضمن هذا الخطاب اعترافا بمقدار التأثير الهائل لعقائدهم وأفكارهم وقد جاء هذا الاعتراف الأول حسب مستقبل السياسة الخارجية الأمريكية في العالم الإسلامي والعربي في مذكرة حملت عنوان "حرب الأفكار" والتي صدرت بتاريخ 2003/10/16 وهذه المذكرة التي وجهها دونالد رامسفيلد إلى مساعديه تحث على ابتكار وسائل جديدة (الأفكار) لخوض الحرب ضد الإرهاب ومواجهة هذا التحدي مستقبلا وهزيمته، ليس فقط بالقوة العسكرية ولكن من خلال الأفكار وكسب العقول والقلوب. فالإحباط الذي عبرت عنه المذكرة تضمن تساؤل رامسفيلد في الوثيقة هل سنكسب الحرب ضد الإرهاب العالمي في المستقبل أم أننا سنخسرها ؟ وقد أشارت المذكرة إلى خطر المدارس الدينية مستقبلا على السياسة الخارجية الأمريكية (طي و ياغي، 2011، صفحة 63)، ذلك أن الصراع يدور حول الأجيال اللاحقة و تحديد صراع على امتلاك قلوب و عقول المجتمعات العربية، واستكمالا لفكرة المذكرة طرح رامسفيلد فكرة إقامة وكالة معلومات القرن الحادي والعشرين في الحكومة للمساعدة في معركة كسب العقول والقلوب (طي و ياغي، 2011، صفحة 65).

فالمشكلة حسب الرؤية الأمريكية وحسب بعض المفكرين لا تعود إلى البضاعة الأمريكية الفاسدة التي يتم تصديرها إلى المنطقة العربية بل في حسن إخراج وتجميل هذه البضاعة، أي لا تعود إلى طبيعة السياسات المتبعة بقدر ما أن الخلل يكمن في العجز عن إخلاء هذه السياسات وحسن تسويقها عند شعوب المنطقة العربية، حيث تقنع بها فعلا وتدرك أبعادها النبيلة والخيرة، وهذا يتطلب الاهتمام الزائد بأدوات الدبلوماسية الثقافية مستقبلا، و الذي سيؤدي الى إخلاء السياسة الأمريكية الجديدة وجعلها تحظى بالقبول والشرعية في أعين شعوب العالم العربي. وفي هذا السياق يدعو جوزيف ناي إلى القول أنه لا يمكن القلق من المستقبل فالشعبية شيء مؤقت زائل و يجب أن لا تكون دليلا للسياسة الخارجية بأي حال. تستطيع الدبلوماسية الثقافية الأمريكية العمل دون تصفيف

العالم فهي قوية لدرجة تستطيع أن تفعل ما تشاء فهي القوة العظمى الوحيدة في العالم ولابد حتما أن تولد هذه الحقيقة حسدا وغيضا. وقد أضاف فؤاد عجمي مؤخرا أنه الو. م. أ لا تحتاج إلى القلق حول مسألة كسب العقول والقلوب في أراضي أجنبية لاسيما المنطقة العربية ذلك أن الدبلوماسية الثقافية تعدت ما يسمى بخلق الحوار والتفاهم بين الشعوب العربية والو. م. أ. بل أصبحت تسعى إلى اجتذاب واستقطاب هذه الشعوب خاصة فئة الشباب من خلال وسائلها وأدواتها في كسب العقول والقلوب وبرامج التبادل الثقافي خير مثال (طي و ياغي، 2011، الصفحات 65 -66).

وفي هذا السياق فقد تنبأ كاتب العمود الصحفي كال توماس إلى أن أعداء أمريكا في العالم العربي يمكن جعلهم أقل تهديد للو. م. أ. بواسطة ما تقوله أو ما تفعله أمريكا. ذلك أن أمريكا كانت عديمة الشعبية في الماضي ومع ذلك استطاعت أن تتعافى فهي ليست بحاجة إلى حلفاء ومؤسسات بصورة دائمة فباستطاعتها دائما أن تنتقي انطلاقا من المستعدين لمعاونتها عندما تحتاج إلى ذلك وعلى الرغم من التحديات التي واجهت تطبيق الدبلوماسية الثقافية الأمريكية في الوطن العربي في كسب العقول والقلوب وذلك منذ أحداث 11 سبتمبر على وجه الخصوص مع المنطقة العربية سواء كان ذلك على مستوى إخفاقها في مكافحة الإرهاب أو في تراجعها في تطبيق ونشر الديموقراطية في المنطقة نتيجة عدم فهم الثقافات العربية وطبيعتها وزيادة نفقات الدبلوماسية العامة في كسب هذه المعركة، إلا أن الكثير من المفكرين توقعوا الاستمرار في زيادة كسب الشعوب العربية وجذبهم للسياسة الأمريكية وهذا الاحتمال يعود إلى جملة من المعطيات التي تبين استمرار كسب عقول شعوب العالم العربي ومن هذه المعطيات :

- القدرة على تقديم أفكار تساهم في بقاء الو. م. أ. كقوة عظمى تسعى إلى كسب الشعوب و تحسين صوتها لدى العالم العربي.

- القدرة على إتباع استراتيجية تمتد إلى مستقبل غير محدود على مستوى علاقاتها بالعالم العربي.

- القدرة على تحسين تدريجي لمشاكل سياسية واقتصادية واجتماعية واستراتيجية متنوعة في المنطقة العربية رغبة منها في زيادة رصيدها من الشعوب العربية المحبة للسياسة الأمريكية .

- القدرة على استخدام وسائل الدعاية على الوجه الأكمل و تحسين الدبلوماسية الثقافية حتى تنجلي صورة أمريكا على حقيقتها، فالتحدي الأكبر الذي كان يواجه الدبلوماسية الثقافية الأمريكية هو إجلاء حقيقة قيم وسياسات الو. م. أ. لشعوب العالم العربي، لأن الحقيقة تخدم الحرية حسب تعبير كوندوليسا رايس مستشارة الأمن القومي سابقا، والتي ذكرت أن الأفكار التي ربحت معركة الحرب الباردة يمكنها أن تربح مستقبلا المعركة ضد الإرهاب.

وتجدر الإشارة إلى أن أهمية كسب العقول و القلوب تكمن في كونها جزء لا يتجزأ من الحرب الواسعة على الإرهاب، فالحرب على الإرهاب بالأسلحة هي نفسها معركة كسب العقول والقلوب التي تعتمد على إيديولوجية مختلفة (Wittkopf et McCormick, 2008, p.37)، ذلك أن الاستراتيجية الأمريكية في مكافحة الإرهاب و الفوز فيها يعني الانتصار في معركة الأفكار و كسب العقول. و في هذا السياق فقد تنبأ انطونيو اتشفاريا الذي كان يشتغل مدير البحث في كلية الدراسات الأمنية في الجيش الأمريكي أن عدم دعم العالم الو. م. أ. ووجود مشاعر العداء تجاه الو. م. أ. لا يعني بالضرورة عدم نجاح الدبلوماسية الثقافية والسياسات الأمريكية في تحسين صورتها لدى العالم العربي، فسوف تستمر بلا شك سياسة الو. م. أ. في محاربة الإرهاب مستقبلا وذلك بغض النظر عن كيفية انتهاء الصراع. فبالرغم من هذا فإن هناك يقين على نطاق واسع بفوز الدبلوماسية الثقافية والسياسة الخارجية الأمريكية في المنطقة العربية كسبها للعقول والقلوب (Arquilla et Nomura, 2015, p.183) .

و من خلال دراسة روبرت أرميتاج وجوزيف ناي التي صدرت عن مركز الدراسات الدولية و الاستراتيجية (مركز فكر) يمكن القول أن مستقبل الدبلوماسية الثقافية في كسب العقول والقلوب في العالم العربي ستتجه إلى

إعادة المجد والقيادة الأمريكية ذلك أنها ستعتمد حتما على مسلمة مركزية جديدة لسياستها الخارجية لتحل محل الحرب على الإرهاب ونشر الديموقراطية التي سيطرت على السياسة الخارجية وهو الهدف الجديد للو. م. أ. مستقبلا وهذا يتطلب رؤية لأمريكا آمنة وذكية وإعادة كشف العظمة الأمريكية كمصدر للأفكار والحلول العملية في العالم العربي ستعتمد عليها مستقبلا في زيادة واستمرار كسب العقول والقلوب في العالم العربي (Nye et Armiage, 2008, p. 3) وستعتمد المقاربة العملية على حلول اكثر عملية في المنطقة العربية تحددها الكلمات والأفعال واللتان تشكلان الطريقة التي ستتعامل بها أمريكا مع التحديات المستقبلية في العالم العربي لإيجاد الحلول المناسبة لهذه التحديات.

لذلك فإنه يمكن القول أن معظم الكتابات الأمريكية قد ركزت على أهمية توظيف الجوانب الثقافية بكل أبعادها في مستقبل تطبيق الدبلوماسية الثقافية، وهذا من خلال الاستثمار في أدوات القوة الناعمة والحاجة إلى الدبلوماسية الثقافية للسيطرة على المدارك العقلية عبر وسائل الإعلام والمبادلات الثقافية وحتى المناهج التعليمية تحت ذرائع الإصلاح الثقافي والسياسي.

خاتمة:

لقد انصبت جهود صناع الدبلوماسية الثقافية تجاه المنطقة العربية على فتح مداخل جديدة لتحسين صورة أمريكا وترويج قيمها الثقافية من جهة، وتعزيز الضغوط " الناعمة" من أجل إحداث تغييرات جذرية على المنظومة الثقافية والدينية والفكرية التي تخصب في نظر واشنطن مشاعر الصدام والكراهية تجاه القوة العظمى. ففي الوقت الذي كانت الوهابية تمول بملايير الدولارات البنيات التربوية عبر المدارس الدينية في العالم الإسلامي، لم تجد الولايات المتحدة طرقا وقنوات لتشجيع الشرائح المعتدلة على النهوض بقطاع تربوي تعليمي حديث ومجدد. حيث كانت عائلات فقيرة في بلدان مسلمة ترسل أبناءها إلى المدارس الدينية ليس فقط بقناعة بالتعليم الديني بل لأن هذه المدارس توفر لهم المبيت والطعام وأن آباء عديدين يتمنون لو يتعلم أبناؤهم

الرياضيات والعلوم والآداب وعلوم الكمبيوتر بدل العلوم الدينية، لكنهم لا يملكون الخيار.

فكان بإمكان الولايات المتحدة مزاحمة الأيديولوجيات المتشددة في هذا المجال ودفعها إلى الهامش. وفي سياق صعود موجة مناهضة أمريكا في العالم، وخصوصا في العالم العربي، فإن أمريكا مدعوة إلى إرساء الجسور مع الغالبية الصامتة فيه. فإذا أرادت أمريكا تخصيب صورة جيدة عنها خارج الحدود فعليها العمل على خمس واجهات: تشجيع إصلاح البرامج التعليمية الأجنبية، توسيع برامج التبادل الثقافي، تسهيل الولوج إلى المؤسسات والقيم الأمريكية، تشجيع التفاهم العابر للثقافات وإنعاش حركات التطوع الأمريكي. فبرامج التبادل الثقافي التي توجد في صلب الاهتمام فإنها مدعوة إلى التوجه نحو تشجيع الحس النقدي والفكر الحر ومساءلة التراث وإرساء أنظمة تربوية متنورة في البلدان المهددة بالتطرف وتدريب الأساتذة ودعم الترجمة... الخ. كما يتعلق الأمر بانفتاح أكبر على فئات الأكاديميين والطلاب والصحافيين والمثقفين في إطار برامج تبادل وبعثات، والمساهمة في البرامج الإنسانية والتطوعية لإعادة البناء والتنمية وذلك تحت غطاء الدبلوماسية الثقافية.

قائمة المراجع:

المراجع باللغة العربية :

أمريكا وبرامج التبادل التعليمي مع الدول العربية... نوايا حسنة أم مصالح ؟ تاريخ الاطلاع 2021/01/08. الرابط : https://bit.ly/2NWnWXX

الفارسي, ا. ا .(تاريخ غير محدد) .السياسات الثقافية بين وعي التنمية وتنمية الوعي *أرشيف صحيفة البلاد* . تاريخ الاطلاع 2021/01/08. على الرابط : https://bit.ly/3pC2oxE

الفراوي, ن. (2006). الثقافة والقوة الناعمة. حروب الأفكار في السياسة الخارجية *تاريخ الاطلاع 2021/01/07، على الرابط:* https://bit.ly/3crXVd3 .

الله, م. ،. ز. ع. (2014). السياسة الثقافية الأمريكية تجاه الوطن العربي : دبلوماسية ثقافية أم إمبريالية ثقافية ؟ *.المستقبل العربي* .6(2827), 1-16 https://doi.org/10.12816/0021339 ,

ياغي, م و طي, م. (2011). الحرب الناعمة وإشكالية الممانعة. مركز المعارف للدراسات الثقافية. تم الاطلاع بتاريخ 2021/01/09. على الرابط : https://bit.ly/3rd7bGf

المراجع باللغات الأجنبية :

Arquilla, J., & Nomura, R. (2015). Three Wars of Ideas about the Idea of War. *Comparative Strategy*, *34*(2), 185-201. https://doi.org/10.1080/01495933.2015.1017370

Audinet, M. (2018, juin 1). *Batailles culturelles*. Le Monde diplomatique. https://www.monde-diplomatique.fr/mav/159/AUDINET/58698

Botes, M. (2007). *The public diplomacy of the United States of America in the "war on terror"* [Dissertation, University of Pretoria]. https://repository.up.ac.za/handle/2263/29573

Etzioni, A. (2005). Des conditions de l'avancement du projet américain. *Politique americaine*, *N° 3*(3), 43-59.

Goss, C. M. (s. d.). *"A Battle for Hearts and Minds" : U.S. Public Diplomacy in the Cold War Middle East*. 78.

Harfi, M., & Mathieu, C. (2006). Mobilité internationale et attractivité des étudiants et des chercheurs. *Horizons strategiques*, *n° 1*(1), 28-42.

Katzenstein, P. J., & Keohane, R. O. (2007). *Anti-Americanisms in World Politics*. Cornell University Press.

Kessler, M.-C. (2018). La diplomatie culturelle. In *Manuel de diplomatie* (p. 263-274). Presses de Sciences Po. https://www.cairn.info/manuel-de-diplomatie--9782724622904-page-263.htm

Kitsou, S. (2011). The Power of Culture in Diplomacy : The Case of U.S. Cultural Diplomacy in France and Germany. *Exchange: The Journal of Public Diplomacy*, *2*(1). https://surface.syr.edu/exchange/vol2/iss1/3

Lord, C. (2005). Diplomatie publique et soft power. *Politique américaine*, *3*(3), 61-72. Cairn.info. https://doi.org/10.3917/polam.003.0061

Lorot, P., & Thual, F. (2002). *La géopolitique*. Montchretien.

Marteau, V. (2003). La diplomatie culturelle américaine : L'exportation de l'image du gouvernement. *Quaderni*, *50*(1), 175-196. https://doi.org/10.3406/quad.2003.1227

Mulcahy, K. V. (1999). Cultural Diplomacy and the Exchange Programs : 1938–1978. *The Journal of Arts Management, Law, and Society*, *29*(1), 7-28. https://doi.org/10.1080/10632929909597282

Nye, J., & Armitage, R. (2008). *Implementing Smart Power : Setting an Agenda for National Security Reform*. https://www.csis.org/analysis/implementing-smart-power-setting-agenda-national-security-reform

Plaquevent, P.-A. (s. d.). *L'Empire invisible : Soft-Power et domination culturelle*. Egalité & Réconciliation.fr. Consulté 31 décembre 2020, à l'adresse https://www.egaliteetreconciliation.fr/L-Empire-invisible-Soft-Power-et-domination-culturelle-7999.html

Vincent-Lancrin, S. (2008). L'enseignement supérieur transnational : Un nouvel enjeu stratégique ? *Critique internationale*, *n° 39*(2), 67-86.

Waller, M. J. (2009). *Strategic influence : Public diplomacy, counterpropaganda, and political warfare*. Institute of World Politics Press.

Wittkopf, E. R., & McCormick, J. M. (Éds.). (2008). *The domestic sources of American foreign policy : Insights and evidence* (5th ed). Rowman & Littlefield Publishers.